الاختلافات الزوجية

وأثرها فى تربية الأولاد

البيت هو البيئة الاجتماعية الأولى التى يستقبلها الطفل فى هذه الدنيا . فهو يجد فيها طرازا من الاجتماع له مبادئ معينة من الأخلاق والاقتصاديات ، كما يجد أسلوبا فى العيش والمعاملة والذوق الفنى واللغوى . وهو ينشأ على غرار هذه البيئة و يأخذ بأخلاقها وأسلوبها وذوقها . و يتلقى المؤثرات الأولى من والديه و إخوته ومن الخدم ومن الزائرين أيضا بدرجات تتفاوت قوتها . فإن للأب مكانة كبيرة فى نفس الطفل . ومثلها أو أقل قليلا للأم . ثم أقل من ذلك لسائر أعضاء الأسرة .

ثم هو فى سنيه الأولى لا يختلط إلا قليلا بالعالم الخارجى حيث المجتمع الأكبر . ولكن اختلاطه يزداد بتقدمه فى السن فينقل تلك المؤثرات العائلية التى تلقاها فى المجتمع الصغير أى العائلة إلى هذا المجتمع الكبير . وهو ينظر إلى الغرباء بعيون أبويه ، وهو يعاملهم بالأسلوب الذى عرفه فى البيت . فإذا كان هذا الأسلوب سيئا أو إذا كانت هذه العائلة فى نقار لا ينقطع أو إذا كانت الخصومات تنشب ولا تخمد إلا بوسائل العنف ، فان هذا الطفل يشب وهو يحب هـذا الطراز من العيش هو الطراز المألوف فى كل مكان آخر . فهو يعامل الناس بمثل المعاملة التى رآها فى العائلة ، وهو حين يجد اختلافا بين العـالم الخارجى و بين البيت يلتزم أسلوبه القديم الذى يشق عليه أن يتجرد منه . وذلك لأن أخلاقه التى تعلمها فى البيت أيام طفولته قد انحدرت إلى الشعور فنبتت وتأصلت كما هو الشأن فى كل ما نتعلم أيام الطفولة . أما ما يتعلم بعد ذلك من المجتمع الخارجى فيبقى وكأنه اقتناع عقلى فقط لا يتصل بالشعور . ولكنا نحن لا ننبعث بالعقل وان اقتنعنا به بقدر ما ننبعث بالشعور . ومن هنا الأثر العظيم الذى تحدثه البيئة المنزلية فى الطفل لأنها تعين له طراز الأخلاق الذى سيسير عليه فى المجتمع . ولسنا نجزم بأن هذا الطراز لن يتغير و إنما نقول إنه من الثبات والرسوخ بحيث يحتاج إلى مجهود عظيم عند ما نحاول تغييره .

أعتبر هذا الذى قلنا فى المثال التـالى :

طفل ماتت أمه عن مهده أو طلقت ثم تزوج أبوه ، وشاء الحظ السيء أن تكون زوجة أبيه كارهة له ، فهى تضطهده وتؤثر أولادها عليـه وتكلفه من المشاق ما يعجز عن أن ينتصف لنفسه منها . فهو يرى هنا طرازا من الأخلاق وأسلوبا من المعاملة يحسبهما عامين فى المجتمع الخارجى . وقد كان يقـابل كل حركة من زوجة أبيه بالكراهة والمقاومة السرية أو العلنية والخبث والتدبير فى الظلام . فاذا شب لصقت به هذه الصفات وصار يعامل بها سائر الناس : يكذب ويداور وينافق ويدس ويصانع ، كأن كل فرد من المجتمع هو زوجة أبيه . وليس بعيدا وهو يقف إزاء الهيئة الاجتماعية هذا الموقف أن ينقلب مجرما فى مستقبل أيامه .

بل هذا هو الذى يحدث لسوء الحظ فى أغلب هذه الحالات . فان الأطفال الذين يدخلون الاصلاحيات بعد أن تثبت عليهم تهمة التشرد أو عقوق الآباء أو يقعون فى جرائم مختلفة إنمـا هم فى العادة أولاد حرموا من الأسرة السعيدة التى يسود الوئام فيها بين الزوجين . فصبى الإصلاحية هو فى الغالب محروم من الأم إما بالوفاة وإما بالطلاق أو هو يرى كل يوم مشاجرات لا تنقطع بين أبويه يرافقها عنف أو سباب . وفى مثل هذه البيئة قد تعمد الزوجة إلى ألوان من الدفاع تتخذ لها أساليب مختلفة فى الظلام يقف عليها الطفل فتنبه ذهنه الصغير إلى أسلوب من الأخلاق لا يتفق ومصلحة المجتمع .

ونحن نعرف أن التربية قد تكون بالتلقين نصحا وإرشادا وعظات يستمع إليها الطفل ، ولكنا نعرف أيضا أن هذا التلقين ليس له الأثر الذى تحدثه القدوة أو المثال . ومن هنا قيمة التربية المنزلية لأنها تربية القدوة والمثال أى أنهـا هى التربية التى تنزل إلى الشعور وتبعث على العمل . وهى تفضل تعليم المعلم الذى يقوم على التلقين . فان الطفل يكتسب من البيت تربية فى حين هو لا يكاد يحصل من المدرسة على غير التعليم . والفرق عظيم بين الاثنين .

ومن هنا يتضح لنا الأثر السيء الذى تحدثه الاختلافات الزوجية فى تربيـة الأطفال . فان هـذه الاختلافات إذا تفاقمت وأدت إلى العنف أو الفرقة بين الزوجين هيأت الطفل للجريمة أو لمـا هو دونها من فساد الأخلاق الذى يبتلى به المجتمع . كما أن هذا الطفل يعيش شقيا بمـا اكتسب من هذا الطراز السلوكى لأبويه .

وعكس هذا يحدث للطفل الذى يعيش فى بيئة عائلية يسودها النظام والحب والتعاون والمجاملة . لأنه يتخلق بهذه الأخلاق جميعها فتعود استجاباته للمجتمع عند ما يشب قائمة على التفاهم . وهو عند ما تجابهه صعوبة يعمد إلى المعالجة السلمية لا إلى البطش والعنف لأنه

يرى فى كل رجل أبا أو أخا كما يرى فى كل امرأة أما أو أختا وعلى غرار ما نشأ فى الوسط العائلى يعامل الناس جميعا . فهو يسعد المجتمع وينبعث الى خدمته كما يسعد نفسه ويحقق أغراضه بألطف الوسائل. والعبرة لنا أن نشعر بقيمة البيت الحسن فى الاجتماع. فاننا نغرس الأخلاق الاجتماعية الأولى فى البيت إن شرا فشر وإن خيرا فخير . ومن هنا التبعة العظيمة التى تلقى على الزوجين . فانه يجب عليهما أن يظهرا أمام الأطفال بأحسن المظاهر وأفضل الأخلاق . ويجب ألا يكون هذا عن رياء . لأن الطفل لا يخفى عليه ما يستره أبواه عنه . وهو لألفته لهما يدرك من نظراتهما الحقيقة المستورة التى لا يخفيها التكلف والتظاهر . فاذا شاء الزوج أن يكتسب ابنه منه الفضيلة فليكن فاضلا مجاملا مهذبا فى غير رياء . وليعامل زوجته بالعطف والحب والتعاون. فان الطفل الذى ينشأ فى هذه البيئة جدير بأن يكون عضوا صالحا فى الهيئة الاجتماعية ؛

من وصايا العرب

من كلام لعبد الملك بن صالح يوصى ابناله :

احلم يابنى ، من حلم ساد ومن تفهم ازداد ، والق أهل الخير فإن لقاءهم عمارة القلوب ، والصبر على المكروه يعصم القلب ، والمزاح يورث الضغائن . وحسن التدبير مع الكفاف خير من الكثير مع الإسراف ، والاقتصاد يمنع القليل ، والاسراف يبيد الكثير ، وشر ما صحب المرء الحسد ، والعفة مع الحرفة خير من الغنى مع الفجور ، عاتب من رجوت عتباه ، وفاكه من أمنت بلواه ، لا تكن مضحاكا من غير عجب ، ولا مشاء الى غير أرب ، ومن نأى عن الحق أضاق مذهبه ، ومن اقتصر على حاله كان أنعم لباله ، لا يكبرن عليك ظلم من ظلمك ، فإنه إنما سعى فى مضرته ونفعك ، عود نفسك السماح وتخير لها من كل خلق أحسنه . فإن الخير عادة ، والشر بالجاجة ، والصدود آية المقت ، والتعلل آية البخل ، ومن الفقه كتمان السر ، ولقاح المعرفة دراسة العلم ، وطول التجارب زيادة فى العقل ، والشرف التقوى ، والبلاغة معرفة رتق الكلام وفتقه ، شر القول ما نقض بعضه بعضا ، ومن سعى بالنميمة حذره البعيد ومقته القريب ، من أطال النظر بإرادة تامة أدرك الغاية ، ومن توانى فى نفسه ضاع . من أسرف فى الأمور انتشرت عليه ، ومن اقتصد اجتمعت له . غب الأدب أحمد من ابتدائه ، سوء الطعمة يفسد العرض ويخلق الوجه ، ويمحق الدين . وفيك من أنصفك وأخوك من عاتبك ، وشريكك من وفى لك ، وصفيك من آثرك .